

يا عمال العالم، اتحدوا!



طريق البلشفية



عز الدين بن عثمان الجديدي

حول

مسألة البرجوازية «الوطنية»

الحوار المتمدن، عدد 3865، 2012/9/29.

نشر النشر البلشفي العربي

تونس، تشرين الأول 2012

1. غموض مفهوم البرجوازية الوطنية

يلف مفهوم البرجوازية الوطنية أو القومية غموض كبير في الأوساط «الشيوعية» العربية وقد ساعد هذا الغموض بفعل سيطرة التحريفية الحروتشوفية والماوية لعقود طويلة من الزمن بعد تحطيم دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفيتي خلال سنوات 1953-1956 وتصفية الخط التطري والسياسي البلشفي- على تفشي الانحراف الانتهازي اليميني وارتكاب أخطاء سياسية قاتلة حكمت على البروليتاريا وجاهير الفلاحين في عديد الأقطار العربية بالتذليل للبرجوازية ولعب دور الوقود وورقة الصّغط في مساوماتها مع الإمبريالية.

مصطلح البرجوازية الوطنية (*bourgeoisie nationale*) في الأدبيات البلشفية (لينين، ستالين، الأمية الثالثة...) المتعلقة بالمسألة القومية والكولونيالية يعني البرجوازية القومية أو المحلية للبلاد المستعمر أو شبه المستعمر أو التابع التي تقابلها البرجوازية الإمبريالية أو برجوازية المتروبول. وفي كثير من الأحيان تستخدم تلك الأدبيات مصطلح «البرجوازية المحلية» (*bourgeoisie locale*) كمرادف لمصطلح «برجوازية وطنية». يشير المصطلح «وطنية» بالأساس إلى الفضاء الجغرافي-الاجتماعي ولم يكن يحمل معنى سياسياً أو وصفا لموقف البرجوازية من الإمبريالية. ومثال ذلك حديث ستالين والأمية الشيوعية عن مغادرة البرجوازية الوطنية لمعسكر الثورة الصينية في 1926 أو حديثهم عن البرجوازية الوطنية المعادية للثورة أو كذلك عندما تقسم أطروحات المؤتمر السادس للأمية الشيوعية البرجوازية الوطنية إلى شريحة «كبرادورية» ذات مصالح متطابقة مع الإمبريالية والملاكين العقاريين وإلى شريحة صناعية تمثل توجهها وطنياً إصلاحياً في مرحلة معينة من

مراحل الثورة. فكيف تكون «وطنية» بمعنى معادية للإمبريالية إذا كانت قد غادرت معسكر الثورة؟ أو كيف تكون كبرادورية و«وطنية» في نفس الوقت؟ الترجمة الأمينة لمصطلح *bourgeoisie nationale* هي برجوازية قومية أما عبارة «برجوازية وطنية» فترجمتها تكون (*bourgeoisie nationaliste*) أو (*bourgeoisie patriotique/patriote*).

الإشكال يعود جزئياً إلى مسألة التعريب، ذلك أن بعض المترجمين العرب وكذلك الناشطون الشيوعيون وجدوا أنفسهم أمام الإشكالية التالية: من ناحية انقسام وتقسيم المنطقة العربية إلى أقطار متعددة لها ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية متفاوتة، ومن ناحية أخرى تنامي الشعور بالانتماء القومي العربي خاصة في النصف الأول من القرن العشرين. فإذا ترجموا مصطلح (*bourgeoisie nationale*) بمصطلح «برجوازية قومية» والحال أنهم يتحدثون عن البرجوازية التونسية أو المصرية أو السورية، الخ، اتهموا بالإقليمية ومعاداة الأهداف القومية العربية. لذلك ترجموه بمصطلح «برجوازية وطنية» والمقصود البرجوازية القطرية تماماً مثلما تقول «السوق الوطنية التونسية» أو «الجيش الوطني التونسي» لا للدلالة على أن تلك السوق أو ذلك الجيش مستقلّ أو معادي للإمبريالية بل لتمييز هذه المصطلحات عن أهداف لم تنجز متعلقة بـ«البرجوازية القومية العربية» أو «السوق القومية» أو «الجيش القومي».

لكن الأمر لم يقتصر على «اللبس اللغوي» بالنسبة للمناضلين غير المطلعين كفاية عن الماركسية اللينينية فذهب في ظنهم أنه لا بد أن تكون هناك برجوازية «وطنية» بمعنى معادية للإمبريالية في المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة دائماً وفي كل الظروف، وبأن المرحلة الثورية الإستراتيجية المطروحة للانجاز هي مرحلة تحالف مع البرجوازية الوطنية من أجل التحرر الوطني والقومي. وقد أصبح هذا اللبس أكثر تعقيداً وأكثر خطورة من الناحية السياسية بعد القضاء على القيادة البلشفية للحركة الشيوعية العالمية بداية من سنة 1953 لما سيطرت نظريات تحريفية يمينية وكاوتسكية على الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه

المستعمرات وخاصة نظرية «الديمقراطية الوطنية» الخروتشوفية الداعية صراحة إلى تذييل الطبقة العاملة والفلاحين لصالح البرجوازية الوطنية لـ«مساعدها على السير في الطريق للأرأسالي لبناء البلد» و«الديمقراطية الجديدة» الماوية القائلة بالتحالف الحتمي مع البرجوازية الوطنية في جميع المستعمرات وأشباه المستعمرات من أجل القضاء على هيمنة الإقطاع والإمبريالية وبناء الدكتاتورية المشتركة للأربع طبقات التي ستبني أيضا «الاشتراكية» بعد أن تتم «تربية البرجوازية سلمياً».

2. تركيبة البرجوازية الوطنية

«لا تشغل البرجوازية الوطنية في تلك البلدان المستعمرة موقعاً موحداً تجاه الإمبريالية. جزء منها، البرجوازية التجارية قبل كل شيء، يخدم مباشرة مصالح رأس المال الإمبريالي (ما يُسمى برجوازية الكمبرادورين). عموماً، يدافع هذا الجزء بطريقة منسجمة تقريباً، مثل حلفاء الإمبريالية من الإقطاعيين والموظفين المحليين أصحاب الرواتب العليا، عن رؤية غير وطنية وإمبريالية موجهة ضد مجمل الحركة الوطنية. الجزء المتبقي من البرجوازية المحلية، وخاصة الشريحة المثلة لمصالح الصناعة المحلية، يقف على أرضية التضال الوطني ويشكل اتجاهها متذبذباً بصفة مميزة ونازعا إلى المساومات بحيث يمكن أن نسميه وطنياً إصلاحياً (أو حسب اصطلاح أطروحات المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني، توخُّها «ديمقراطياً برجوازياً».)¹

1 المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: أطروحات حول الحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، ترجمتنا.

3. الأساس الموضوعي لـ «صراع» البرجوازية الوطنية مع الإمبريالية وأهمية المسألة الوطنية

﴿إنَّ استقلال البلد عن الإمبريالية الذي يوافق مصالح كل الشعب المستعمر، يوافق أيضاً مصالح البرجوازية الوطنية. لكنه في تناقض مطلق مع كامل طبيعة النظام الإمبريالي. إلا أنَّ مختلف الرأسماليين المحليين هم إلى حدِّ كبير مرتبطون برأس المال الإمبريالي من خلال مصالحهم المباشرة وعبر طرق متنوعة جداً. يمكن للإمبريالية أن ترشو مباشرة جزءاً هاماً منهم. ويمكن أن تخلق لهم موقعا معيناً، وعلى نطاق أوسع مما فعلت حتى الآن، ككمبرادور، كوسيط تجاري، كستغل أدنى، كحارس محتشدات للشعب المستعبد. لكنَّ الإمبريالية تحتفظ لنفسها بموقع سيّد العبيد والمستغل الاحتكاري الأعلى. فلا توافق الإمبريالية عن طواعية أبداً على سيطرة حرّة للبرجوازية الوطنية، وعلى إمكانية التطور الرأسمالي المستقل و«الحرّ» والسيادة على الشعب «المستقل». هنا، يكون تناقض المصالح بين البرجوازية الوطنية في البلد المستعمر والإمبريالية، موضوعياً وجوهرياً على هذا الصعيد. فالإمبريالية تقتضي سجدود البرجوازية الوطنية.﴾²

- إن عرقلة الإمبريالية للتطور الحر والمستقل للبلدان المستعمرة وشبه المستعمرة هو الأساس المادي للاضطهاد الإمبريالي وهو ما يكسب المسألة الوطنية (أو القومية) طابعاً جوهرياً في هذه البلدان يؤثر على جميع مراحل الحركة الثورية فيها.

2 المؤتمر الشيوعي العالمي السادس: المرجع السابق، ترجمتنا.

إن تجاهل العامل الوطني أو «القفز» عليه يعني السقوط في أحضان انتهازي الأممية الثانية والتبشير بالدور التمديني والتقدمي للإمبريالية، يعني تبني وجهة النظر الكاوتسكية عن الإمبريالية. فسر ستالين دلالة المسألة الوطنية بالنسبة للحركة الثورية في المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة على النحو التالي:

﴿نمر إلى المسألة المتعلقة بالنقاط الأساسية التي تنطلق منها اللينينية لحل مشاكل الثورة في المستعمرات والبلدان التابعة. ما هي نقطة البداية التي تتخذها الأممية الشيوعية والأحزاب الشيوعية عامة، حينما تتناول مشاكل الحركة الثورية في البلدان المستعمرة والبلدان التابعة؟ إنها بلا شك التمييز الصارم بين الثورة في البلدان الإمبريالية، الثورة في البلدان التي تضطهد الشعوب الأخرى وبين الثورة في البلدان المستعمرة والتابعة أي البلدان الراضحة تحت النير الإمبريالي للدول الأخرى. فالثورة في البلدان الإمبريالية شيء، حيث تضطهد البرجوازية الشعوب الأخرى، وحيث أن البرجوازية معادية للثورة في جميع مراحلها، وحيث لا يشكل العامل الوطني أحد عوامل التضال التحرري. أما الثورة في البلدان المستعمرة والتابعة فشيء مختلف عن ذلك: هنالك حيث يشكل النير الإمبريالي للدول الأخرى أحد عوامل الثورة وحيث يشمل هذا النير أيضا البرجوازية الوطنية (القومية)، وحيث يمكن لهذه البرجوازية في مرحلة معينة ولمدة معينة أن تساند الحركة الثورية لبلدها ضد الإمبريالية. في حالة البلدان المستعمرة والتابعة هذه يشكل العامل الوطني عاملا من عوامل الثورة. إن عدم القيام بهذا التمييز، عدم فهم هذا الفرق، مطابقة الثورة في البلدان الإمبريالية بالثورة في البلدان المستعمرة، يعني الخروج عن توجه

الماركسية، يعني الخروج عن توجه اللينينية، يعني الانخراط في توجه أنصار الأممية الثانية.³

4. العوامل المؤثرة في السلوك السياسي للبرجوازية الوطنية

- إن ضعف القاعدة الاقتصادية والاجتماعية للبرجوازية الوطنية وارتباطاتها المتعددة بالملاكين العقاريين وبالإمبريالية يحتم ضعفها السياسي ونزعتها المساومة والإصلاحية. تتميز مشروعات ومؤسسات الشريحة الصناعية من البرجوازية الوطنية بصغر حجمها وبانحسارها في قطاعات معينة بالإضافة إلى التخلف التكنيكي وارتكازها على الاستغلال الشرس لقوة العمل مما يجعل البرجوازية الوطنية عاجزة عن الاستجابة إلى أدنى المطالب النقابية والديمقراطية للعامل. ومن ناحية أخرى يؤدي ارتباطها بشريحة الرأسمال التجاري والزبوي وبالملكية العقارية الكبيرة إلى معارضتها لأي إصلاح زراعي جدي فضلا عن ثورة زراعية تقضي على طبقة الملاكين العقاريين.

- كلما كان خطر ثورة طبقية عمالية وفلاحية مباشرا وحقيقيا كلما سعت البرجوازية إلى عقد مساومة مع الإمبريالية والملاكين العقاريين والانتقال إلى الثورة المضادة.

3 ستالين: حول الصين، ترجمة محمد علي العربي، نشر في طريق البلشفية.

- لكي تحافظ البرجوازية الوطنية على سيطرتها على العمال والفلاحين تسعى إلى نشر الأوهام الوطنية-الإصلاحية في صفوفهم حول إمكانية انتزاع «الحقوق الوطنية» دون نضال ثوري ضدّ الإمبريالية، عن طريق المفاوضات و«التضال من فوق»:

﴿البرجوازية المحلية، وهي الأضعف، مستعدة دوماً للسجود أمام الإمبريالية. غير أن استسلامها ليس نهائياً ما لم يكن هنالك خطر ثورة طبقية مباشرة وحقيقية وحادا ومهددا من جانب الجماهير. لاجتناب ذلك الخطر ومن أجل تقوية موقعها في وجه الإمبريالية تسعى هذه القومية البرجوازية في هذه المستعمرات إلى كسب دعم البرجوازية الصغرى والفلاحين وجزء من الطبقة العمالية. إن حظوظها في النجاح قليلة فيما يتعلق بالطبقة العمالية (بعد استيقاظ الطبقة العمالية للحياة السياسية في هذه البلدان). لذلك يهتم أكثر أن تحصل على دعم الفلاحين. لكن هنا تكمن النقطة الأضعف لدى برجوازية المستعمرات إذ أن الاستغلال الذي لا يجتمل للفلاحين في المستعمرات لا يمكن إلغاؤه إلا بالثورة الزراعية. إن المصالح المباشرة لبرجوازية الصين والهند ومصر شديدة الارتباط بالملكية العقارية الكبيرة وبرأس المال الرأبوي وبصفة عامة باستغلال الجماهير الفلاحية بحيث تتدخل البرجوازية ليس فقط ضدّ الثورة الزراعية ولكن أيضا ضدّ كل إصلاح زراعي حاسم. إنها تخشى، ليس دون موجب، واقع أن الطرح الواضح وحده للمشكل الزراعي سيثير الغليان الثوري وسيعجل انتشاره بين الجماهير الفلاحية. وهكذا فالبرجوازية الإصلاحية غير قادرة تقريبا على تطرّق الحل العملي لهذا المشكل الجوهري والصعب. في المقابل، تسعى بجمل وتصرفات قومية لا أهمية لها، إلى أن تبقى الجماهير البرجوازية الصغرى تحت تأثيرها وإلى إجبار الإمبريالية على تنازلات معينة. لكن الامبرياليين يشددون الحناق أكثر فأكثر. ذلك أن البرجوازية ليست في وضع يمكنها من مواجعتهم بمقاومة

جدية تذكر إلا أنها تتصنع «حزما في مبادئها القومية»، كما تقوم بإشاعة الأوهام حول إمكانية تسوية سلمية مع الإمبريالية. إن الجماهير تتخلص بالضرورة من المغالطين وتفقد أوهامها الإصلاحية تدريجياً⁴

5. تطوّر موقف البرجوازية الوطنية من النضال التحرري

- هناك إذن، عدّة عوامل وظروف تحكم في موقف البرجوازية من النضال التحرري وعندما تغادر البرجوازية الوطنية معسكر النضال ضدّ الإمبريالية فإنّ ذلك ليس نهائياً. فمثلا في ظروف الجبهة المتحدة ضدّ الفاشية المميّزة بتنامي عدوانية العناصر الأكثر رجعية والأكثر دموية وإرهابية لرأس المال المالي التي عملت على تحويل البلدان التابعة وأشباه المستعمرات إلى مستعمرات مباشرة، تغيّر موقف البرجوازية الوطنية في العديد من المستعمرات وأشباه المستعمرات ليعود إلى مواقع وطنية معادية للفاشية. لكن بعد الحرب الثانية والانتصار على الفاشية وصعود المدّ الثوري وتنامي الدور القيادي للطبقة العاملة انتقلت في أغلب البلدان إلى معسكر الثورة المضادة بالتحالف مع الإمبريالية في إطار صفقات الاستقلال السياسي الشكلي.

⁴ ستالين: حول الصين، ترجمة محمد علي العربي، نشر في طريق البلشفية.

- لم تكن حظوظ البرجوازية الوطنية كبيرة لقيادة التضال الوطني والسيطرة على العمال والفلاحين في بلدها زمن المعسكر الاشتراكي بقيادة ستالين وزمن الأُممية الشيوعية. لكنّ تحطيم المعسكر الاشتراكي خلق إمكانيات لتدعيم سيادة البرجوازية الوطنية في التضال التحرري ضدّ الإمبريالية وهو ما دعم الحل شبه الاستعماري في أغلب المستعمرات. فعندما أكّد الكومنترن في 1928 أن إمكانيات تشكيل جبهة وطنية مع البرجوازية قد استنفذت في أغلب البلدان المستعمرة والتابعة، إنما كان ذلك بعلاقة بالوضع الملموس لتلك الفترة وارتباطا بتطور أزمات الرأسمالية والتضال الثوري للعمال والفلاحين. ولكن منذ هزيمة المعسكر الاشتراكي ضعفت جبهة الثورة البروليتارية في البلدان المتقدمة وانهارت الحركة العمالية في المستعمرات والبلدان التابعة وكفت عن أن تكون حركة ثورية مستقلة بالرغم من التزايد الكبير في تنامي أعداد البروليتاريا.

- لقد كان المعسكر الاشتراكي قطبا جاذبا حتّى بالنسبة للبرجوازية والبرجوازية الصغيرة وقد حتم سقوطه أن تلعب هذه الطبقات دورا أكبر من الدور الذي كانت ستلعبه لو استمر المعسكر الاشتراكي في البقاء والتوسع. وقد أشار المؤتمر السادس بوضوح إلى أن استسلام البرجوازية المحليّة «ليس نهائيا ما دام خطر ثورة طبقية من جانب الجماهير لم يصبح مباشرا قويا ومهددا». ومنذ 1953 لم يعد ذلك الخطر قويا ومباشرا وهو ما أتاح للبرجوازية الضفر بسند البرجوازية الصغيرة وحتّى بسند عدد كبير من العمال كحلفاء في عملية صراعها ضدّ الإمبريالية (مصر الناصرية، سوريا والعراق، بلدان أمريكا اللاتينية...)

6. الموقف البُلشفي من مسألة البرجوازية الوطنية

يتعارض الموقف البلشفي من البرجوازية الوطنية والمسألة الوطنية عموماً مع انحرافين أساسيين كان قد تبته إليهما الرفيق ستالين:

﴿لا يجب أن يغيب عن أظنارنا وجود انحرافين في الممارسة العملية للمناضلين النشيطين في الشرق المستعمر. من الضروري مكافحة هذه الانحرافات قصد تكوين كوادرن ثورية حقاً.

فأما الانحراف الأول، فيتمثل في الانتقال من الإمكانيات الثورية لدى حركة التحرر وفي تهويل فكرة الجبهة الوطنية المتحدة التي تضم جميع القوى في المستعمرات والبلدان التابعة دون مراعاة حالة ودرجة تطور هذه البلدان. ذلك هو الانحراف اليميني الذي يهدد بتحجيم الحركة الثورية وبتذويب العناصر الشيوعية في الجوفة العامة للوطنيين البرجوازيين. إن التضال الحازم ضد هذا الانحراف هو الواجب المباشر لجامعة شعوب الشرق.

وأما الانحراف الثاني، فيتمثل في تهويل الإمكانيات الثورية لدى حركة التحرر والانتقاص من أهمية تحالف الطبقة العاملة مع البرجوازية الثورية ضد الإمبريالية. ويبدو لي أن شيوعي جزيرة جاوا يعانون من هذا الانحراف حيث ارتكبوا مؤخراً خطأ رفع شعار السلطة السوفيتية في بلادهم. هذا انحراف يساري يهدد بعزل الحزب الشيوعي عن الجماهير وتحويله إلى طائفة. إن التضال ضد هذا الانحراف هو الشرط الضروري لتكوين كوادرن ثورية حقاً في المستعمرات والبلدان التابعة في الشرق.﴾⁵

5 ستالين: المهات السياسية للجامعة الشيوعية لشعوب الشرق، ترجمة محمد علي العربي، نشر في طريق البلشفية.

- يعرف الشيوعيون البلاشفة، على عكس الانتهازيين اليمينيين، أنه من الخمي بالنسبة للبرجوازية الوطنية التي تساهم في التضال من أجل التحرر الوطني أن تنتهي إلى مغادرة هذا التضال. كما يعرفون، على عكس الانتهازيين «اليساريين»، ويرون أن التكتيك الصائب ينبغي أن يعمل على عزل البرجوازية الوطنية عندما تساند هذه الأخيرة الثورة وذلك كي يقع سحب الجماهير من تحت نفوذها حالما تستسلم للإمبريالية. وهذا يتطلب فيها حقيقيا للتكتيكات الثورية. فإثناء تحليل دور البرجوازية الوطنية لا يكفي تقديم صيغ دوغائية وجمل فضفاضة مثلما يفعل المايون لما يعتبرون أنّ البرجوازية تكون دوما في صف الثورة في كافة المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة وسواء كانت هذه البرجوازية ممسكة بالسلطة أم لا.

- ليس الشيوعيون من «يقرر» هل تشارك البرجوازية الوطنية أم لا في الثورة، المسألة مرتبطة بالظروف المموسة لكل بلد، هناك تناقض موضوعي عميق أكد عليه المؤتمر السادس وستالين وهو التناقض بين نزوع البلد شبه المستعمر إلى تطوّر حرّ ومستقل والاضطهاد الامبريالي الذي يعرقل ذلك التطوّر، هذا «التطوّر الحرّ والمستقلّ» يوافق مصالح العمال والفلاحين ويوافق أيضا المصالح الطبقيّة والتاريخيّة للبرجوازية الوطنية. هذا التناقض الموضوعي يخلق الإمكانية لأن تنخرط البرجوازية في نضال ضدّ الإمبريالية في ظروف معيّنة ولمدة معيّنة ولكن معارضتها للإمبريالية لا تكن أبدا ثورية بل إصلاحية ومساومة. المشكلة ليست في «تقرير» ما إذا ستشارك البرجوازية في الثورة بل في كيفية عزلها وسحب جماهير العمال وخاصة الفلاحين من تحت نفوذها وتركيز همينة البروليتاريا على الثورة.

- لقد أنكر الانتهازيون اليمينيون والوطنيون البرجوازيون المتسترون بالشيوعية فكرة أن يكون تحالف البروليتاريا في جبهة وطنية موحّدة ضروريا فقط في المرحلة الأولى من الثورة في بعض المستعمرات وأشباه المستعمرات والبلدان التابعة وذلك في فترة معيّنة ولمدة معيّنة وبشروط محدّدة.

هذه الجبهة تكون ممكنة بعلاقة بالتور الموضوعي الذي تلعبه البرجوازية الوطنية أو إحدى شرائحها في الحركة الوطنية وفي عملية التضال ضدّ الإمبريالية. إن مسألة تشكيل جبهة وطنية متحدة لا يتم حسمها من قبل البروليتاريا أو بعض المناضلين، بل إن العوامل الموضوعية هي التي ستحكم على ذلك، بالإضافة إلى ممارسات البرجوازية أثناء دفاعها عن مصالحها الطبقيّة الخاصّة وعن السوق الوطنيّة. ولا يعود الأمر لبعض المنظرين لتقرير ما إذا «سيسمchon» للبرجوازية بالانضمام إلى الجبهة، إذ أن جوهر المسألة يتعلق بما إذا كان ذلك ممكناً أم لا. فالمشكل بالنسبة إلى البروليتاريا لا يتلخّص، كما أسلفنا، في تقرير ما إذا كان ينبغي أن تساهم البرجوازية في هذه الجبهة وإنما في كيفية دحرها أي في كيفية تحطيم هيمنة البرجوازية واستبدالها بهيمنة البروليتاريا على الثورة.

- يردّ ستالين على الذين يعالجون مسائل الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات عن طريق الصيغ الدوغمائية والزعة الداتية والجل الفضاضة وأكد على ضرورة تحليل وفهم خصوصيات كل بلد الاقتصادية والسياسية والثقافية ومستوى تطوّر الحركة الثورية فيه:

«رغم ما شهدته حزينا من تطوّر على المستوى الإيديولوجي، لا يزال يوجد للأسف في حزينا نوع من «القادة» يعتقدون جدّاً أنّه بالإمكان قيادة الثورة الصينية بواسطة التلغراف اعتماداً على المبادئ العامّة للأمية الشيوعية، تلك المبادئ التي نعرفها ونؤيدها جميعاً، بدون الأخذ في الاعتبار الخصوصيات القومية المتعلقة بالاقتصاد الصيني، بالنظام السياسي الصيني، بالثقافة الصينية وبالعادة والتقاليد الصينية. وما يميّز فعلاً هؤلاء القادة عن القادة الحقيقيين هو أنّهم يملكون دائماً صيغتين أو ثلاث جاهزة و«صالحة» لكل البلدان و«لازمة» في كل الظروف. بالنسبة لهم، لا وجود لمسألة مراعاة السمات القومية الخاصّة والمميزة لكل بلد. بالنسبة لهم، لا وجود البتّة لمسألة العلاقة بين الأطروحات العامّة للأمية الشيوعية

وبين الخصوصيات القومية للحركة الثورية في كل بلد، لمسألة ملائمة الأطروحات العامة للأمم الشيعية مع الخصوصيات القومية والسياسية لمختلف البلدان.⁶

- ويضبط ستالين التكتيك الشيوعي البلشفي في مرحلة الجبهة الموحدة مع البرجوازية كما يلي:

«ولكن كيف نفهم مرحلة الجبهة الموحدة مع البرجوازية الوطنية في المرحلة الأولى من الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات؟ هل يعني ذلك أن على الشيوعيين عدم تكثيف نضال العمال والفلاحين ضد الملاكين العقارين الكبار والبرجوازية الوطنية، وان على البروليتاريا أن تضحي ولو لدقيقة باستقلاليتها؟ كلا. إن الجبهة الموحدة لا يمكن أن يكون لها مغزى ثوريا إلا في حالة وشرط ألا تعيق الحزب الشيوعي في ممارسة نشاطه السياسي والتنظيمي بكل استقلالية، وتنظيم البروليتاريا في قوة سياسية مستقلة، وتعبئة الفلاحين ضد الملاكين العقارين الكبار، وتنظيم ثورة العمال والفلاحين بكل حرية، ومن ثمة إعداد شروط هيمنة البروليتاريا.⁷»

- إن النظرية الستالينية في الثورة الكولونيالية تفهم وتدرك أن البرجوازية بإمكانها أن تنخرط في التضال الوطني، وهي تستعمل مرحلة الجبهة قصد الإعداد لنشوء البروليتاريا كقوة قائدة للثورة. إن هذه المرحلة من الجبهة الوطنية الواسعة ليست ممكنة إلا حينما تكون البروليتاريا غير فاعلة كقوة مستقلة ومحددة وكقطب مضاد

6 ستالين: ملاحظات حول مواضيع راهنة، ترجمة محمد علي العربي، نشر في طريق البلشفية.

7 ستالين: حول الصين، ترجمة محمد علي العربي، نشر في طريق البلشفية.

للبرجوازية الوطنية وحيث لا تزال البروليتاريا غير قادرة على توجيه نضال الجماهير الشعبية غير البروليتارية.

عندما يدفع تطوّر الحركة الثورية للعمال والفلاحين البرجوازية الوطنية على مغادرة الثورة والانضمام إلى أعدائها الامبرياليين والملاكين العقارين فذلك يعني أن الثورة دخلت في مرحلة أرقى مرحلة سيادة الطبقة العاملة في التضال من أجل التحرر الوطني والثورة الزراعية وإرساء الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين.

يقول ستالين:

﴿انقلاب تشان كاي شيك دفع البرجوازية الوطنية إلى مغادرة الثورة... انقلاب تشان كاي تشاك يعني أن الثورة دخلت في مرحلة ثانية من التطوّر وأنه حصل دفع ابتعدت بموجه الثورة عن مرحلة الجبهة الموحدة الوطنية وأنها تسير نحو ثورة الجماهير الواسعة للعمال والفلاحين، نحو ثورة زراعية من شأنها تقوية وتوسيع التضال ضدّ الإمبريالية... غالباً ما تعتبر المعارضة انقلاب تشان كاي شيك بمثابة انتكاس للثورة الصينية. هذا خطأ... إنهم يعتقدون على ما يبدو أن الثورة ستكون بحال أفضل لو لم ينفصل تشان كاي شيك، هذا هذر وكلام غير ثوري... لقد خسرت الثورة البرجوازية الوطنية وكان ذلك خسارة جريئة للثورة. لكن من ناحية أخرى دخلت الثورة في مرحلة أرقى من تطوّرها، مرحلة الثورة الزراعية جاذبة إليها الجماهير الواسعة للفلاحين وكان ذلك مكسباً للثورة﴾⁸

- لا يتصوّر البلاشفة، على عكس أصحاب الانحراف اليميني والوطنيين البرجوازيين المتستّرّين بالشيوعية، مستقبل الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات في

8 ستالين: حديث مع طلبة جامعة صن يات صن، نشر في طريق البلشفية.

جهة موخدة مع البرجوازية وتركيز «الديمقراطية الجديدة» أو سلطة الطبقات الأربع.
يقول ستالين:

«هناك طريقان لتطور الأحداث في الصين (...) إما أن تسحق البرجوازية الوطنية البروليتاريا وتجري مساومات مع الإمبريالية ويطلقون معا حملة مضادة للثورة ليتمكنوا من تصفية الثورة وإرساء سيطرة الرأسمالية؛ وإما أن تقصي البروليتاريا البرجوازية الوطنية وتدعم هيمنتها على الثورة وتمارس قيادة الجماهير الواسعة للشعب العامل في المدن وفي الأرياف لكي تتمكن من التغلب على مقاومة البرجوازية الوطنية ولكي تضمن النصر الكامل للثورة الديمقراطية البرجوازية وتحولها تدريجيا إلى ثورة اشتراكية مع كل النتائج المترتبة عن ذلك.
إما هذا الطريق أو ذلك.»⁹

عز الدين بن عثمان الحديدي
29 سبتمبر 2012

النبا
تومنت 2012

9 ستالين: فضايا الثورة الصينية، نشر في طريق البلشفية.